وقائع المؤتمر العلمي الدولي
للإبادة الجماعية ضد شعب كوردستان
الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيلية

GENOCIDE.KRD

جامعه صلاح الدين

جامعه دهوك

جامعه سوران

سلسلة كتب مؤتمر الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيلية (1)

وقائع المؤتمر العلمي الدولي

للإبادة الجماعية ضد شعب كوردستان
الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيلية

اربيل 2 ـ 2023/5/4

وقائع المؤتمر العلمي الدولي

للإبادة الجماعية ضد شعب كوردستان
الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيلية

إشراف

أ. م. د. سالم جاسم حاجي

أ. د. صلاح محمد سليم

أ. د. نشوان شكري عبدالله

د. ازاد سالم محمد

أ. م. د. عبدالرحمن كريم درويش

عنوان الكتاب: وقائع المؤتمر العلمي الدولي للإبادة الجماعية ضد شعب كوردستان
الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيلية (4)
الإشراف:أ. م. د. سالم جاسم حاجي أ. د. صلاح محمد سليم
أ. د. نشوان شكري عبدالله د. ازاد سالم محمد
أ. م. د. عبدالرحمن كريم درويش
المراجعة اللغوية: د. ازاد سالم محمد
التصميم الفني و الغلاف: ناجي بدل
رقم الايداع: (D-/2714/23)
حقوق الطبع والنشر محفوظة لجامعة دهوك - مركز دراسات الابادة الجماعية

https://genocide.krd
info@genocide.krd
/https://www.facebook.com/people/GENOCIDEkrd
009647511101241

مركز دراسات الابادة الجماعية / جامعة دهوك - مجمع الجامعة - شارع زاخو - بناية المكتبة المركزية - الطابق الثاني

وقائع المؤتمر العلمي الدولي
للإبادة الجماعية ضد شعب كوردستان
الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيلية

اللجنة التحضيرية

أ. م. د. عبدالرحمان درويش	جامعة صلاح الدين
أ. د. مصطفى صابر عتار	جامعة صلاح الدين
أ. د. نشوان شكرى عبدلله	جامعة دهوك
أ. د. سيروان جبار امين زند	جامعة سوران
أ. م. د. ميديا ايبراهيم فتاح	جامعة سوران
أ. م. د. كارزان عبدالمحسن محمد	جامعة صلاح الدين
أ. م. د. سالم جاسم	جامعة دهوك
أ. م. د. خليل مصطفى عثمان	جامعة دهوك
أ. م. .د شارى خاليد	جامعة سوران
د. ازاد سالم محمد	جامعة دهوك
سامى سالم محمد	جامعة دهوك
ئامانج نجمەدين عبدالغفور	جامعة صلاح الدين

اللجنة العلمية

أ. د. محمد احسان	كينجز كوليدج / لندن - المملكة المتحدة
أ. د. مارتن فان برونسن	معهد الشرق الأوسط- NUS الجامعة الوطنية سنغافورة
أ. د. عبدالفتاح بوتانى	الأكاديمية الكردية
أ. د. ئيسماعيل قمندار	جامعة باريس جوزو فرنسا
أ. د. انطونيو جيرونيمو باريوس	كوستا ريكا
أ. د. شريفه كلاع	جامعة الجزائر 3 - الجزائر
أ. د. ديارى صالح مجيد	الجامعة المستنصرية
أ. د. قادر محمد حسن	جامعة صلاح الدين - اربيل
أ. د. صلاح محمد سليم	جامعة دهوك
.أ. د. مها حسن بكر	جامعة صلاح الدين - اربيل
أ. د. ناز بدرخان سندى	جامعة بغداد
أ. د. صباح عباس جاسم	جامعة باكنغهام - لندن
أ. د. محمد صبرى صالح	جامعة دهوك
أ. د. حسين عبد عيسى	جامعة السليمانية
أ. د. مارينا چافونتاكى	جامعة لينكولن- إنجلترا
.أ. د. صالح اكين	جامعة روان نورماندي - فرنسا
أ. د. ساشا بورزوا زيروند	الجامعة باريس بانتيون
أ. د. هادى ئوميد فەيلى	الجامعة الأمريكية الدولية في لندن
أ. د. محمود محمد زايد	جامعة الأزهر - مصر
أ. د. دانيلا ايريرا	جامعة كاتانيا- ايطاليا
أ. م. د. دايان كينک	جامعة كنتاكى
أ. م. د. بهار بصير	جامعة دورهام
أ. م. د. ماركو أتيلا هوو	كلية سراييفو للعلوم والتكنولوجيا
أ. م. د. پادريس موسلمزاده تهرانى	جامعة مالايا - ماليزيا
أ. م. د. شاخەوان عبدالله	جامعة سوران
أ. م. د. هەژار رەحيمى	جامعة سوران
أ. م. د. حبيب ابراهيم	جامعة روربوشوم - ألمانيا

المقدمة

تُعَد الإبادة الجماعية «أم الجرائم»؛ لأنها تُرتكب ضد المجموعات البشرية بسبب اختلافها من حيث الجنسية أو العرق أو العنصر أو الدين. أرتُكبت العديد من الجرائم ضد المجموعات البشرية المختلفة في التاريخ، وخلفت تأثيرات مدمرة على الهياكل الثقافية والبيولوجية والبيئية والحياتية والأخلاقية للمستهدفين.

شعب كوردستان أحد الشعوب العريقة على وجه المعمورة، استقر وعاش على أرضه منذ فجر التاريخ. شعب غني بثقافات وديانات مختلفة. بعد الحرب العالمية الأولى، تم ضم جزء من كوردستان إلى الدولة العراقية، ونتيجة لذلك تعرض للعديد من الجرائم، كجرائم الحرب والجرائم ضد الإنسانية والإبادة الجماعية لمنع الشعب الكوردي من تقرير مصيره.

ارتُكِبَت الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيليين وفقا لسياسة ممنهجة من قبل النظام البعثي الذي قام بتنفيذها على عدة مراحل بلغت ذروتها من الوحشية والقساوة حين قام بإسقاط الجنسية وتهجيرهم قسرا الى الحدود الإيرانية كي يواجهوا ظروفا معيشية ونفسية غاية في القساوة. علاوة على تدمير 14 مدينة وقصبة وتعريب مناطقهم والاستيلاء على ممتلكاتهم ومصادرتها، هذا ماأدى الى تفكيك وتشويه بنية العائلة الفيلية.

وقد تم ارتكاب الكثير من هذه الجرائم في العاصمة العراقية علنا وعلى مرأى المجتمع العراقي والإقليمي والدولي. على الرغم من مرور 43 عامًا على المرحلة الأخيرة من الإبادة الجماعية، لا يزال عدد كبير من الناجين محرومين من حقوق المواطنة والحصول على الجنسية واسترجاع ممتلكاتهم المسلوبة. لا يزال الآلاف منهم يعيشون في المنفى. ولا يزال مصير أكثر من 22 ألفا منهم غير معلوم. وبعد سقوط نظام البعث، أَقَرَت المحكمة الجنائية العراقية العليا بأن ما لحق بالكورد الفيليين يُعَدُ إبادة جماعية. الا أنه ولغاية الآن لم يتم تعويضهم ماديا ومعنويا، ولم يتم استرجاع ممتلكاتهم المسلوبة.

ينطلق مشروع هذا المؤتمر من منطلق الإحساس بالمسؤولية التاريخية والأخلاقية والعلمية. تحت شعار كشف الحقائق لتحقيق العدالة. وذلك بهدف توثيق هذه الجريمة النكراء ومعرفة أسبابها ودوافعها وآثارها. سعيا لايجاد الحلول المناسبة بطريقة علمية للحيلولة دون تكرارها وتعويض الضحايا ومعاقبة الجناة.

ومن منظور أكاديمي، نتطلع إلى دراسة هذه الجريمة وتفسيرها وتحليلها. باعتبارها بداية مهمة وصحيحة لتأسيس المجال العلمي للإبادة الجماعية في كوردستان التي يعدها بعض الخبراء مركزًا للإبادة الجماعية. هذا وتم الاتصال بمئات الباحثين على الصعيدين الوطني والدولي. وقد تم قبول ٥٢ بحثا أكاديميا و ٥٧ ورقة بحثية ومداخلة قُدِمَت من قبل باحثين ومفكرين وخبراء في مختلف المجالات العلمية. وبسبب ظروف فنية وتقنية تتعلق بوقت انعقاد المؤتمر وحدوده، لم يتمكن عشرات الباحثين من حضور المؤتمر مباشرة. هذا ما أدى الى إحياء قضية الكورد الفيليين والألمام بأوضاعهم من جديد من قبل الجهات الرسمية والأكاديمية والتنظيمية والشعبية.

وعند اطلاع الرئيس مسعود البارزاني على هذا المشروع، قام بدعمه بأقصى درجات الحماس، الأمر الذي

أدى الى تنفيذ المشروع. وكذلك تم تحقيق هذا الهدف بشكل مشترك من قبل الجامعات الثلاث؛ «صلاح الدين ودهوك وسوران»، بالتعاون مع العديد من الجامعات والمؤسسات العلمية الأخرى، بالإضافة إلى سعي اللجنة العليا، واللجنة التحضيرية المشتركة، واللجنة العلمية، واللجنة الاستشارية وجميع اللجان والباحثين الذين عملوا بأقصى الجهود ودون كلل سعيا لإنجاح هذا المؤتمر.

أ.م.د. عبدالرحمن كريم درويش
رئيس اللجنة التحضيرية للمؤتمر

المحتويات

الآثار القانونية لجريمة الإبادة الجماعية ضد الكورد الفيليين
أ. م. د. أسعد كاظم وحيش - دعاء عمار وارد 15
ماهية جريمة الإبادة الجماعية وآثارها الاقتصادية (الكورد الفيليون أنموذجاً)
أ.م.د. إلهام وحيد دحام 33
قضية الكورد الفَيليين ونشاطاتهم في جريدة (خەبات/ النضال) 1959 - 1961
أ.د.شيرزاد زكريا محمد 53
رؤية شرعية في حكم فتح المقابر الجماعية لضحايا الأنفال والاعدامات
(دراسة وصفية تحليلية)
أ.د. جواد فقي علي الچوم حيدري - أ.د. ناهدةعبد الغني محمد 79
ذو الفقار والدولة النخودية الفيلية في العراق(1530-1524)دراسة تاريخية
أ.د. نزار علوان عبدالله - م.جنار نامق حسن 97
مواجهة الإفلات من العقاب في ضوء اتفاقية منع جريمة الإبادة الجماعية والعقاب عليها
(الكورد الفيليون كحالة للدراسة)
أ.د. حسين عبدعلي عيسى 107
نحو استراتيجية وطنية لمواجهة جرائم الإبادة الجماعية في العراق وسبل معالجتها
دراسة تحليلية من منظور سوسيولوجي
أ. د حمدان رمضان محمد 135
التطهير العرقي للكورد الفيليين في العراق - دراسة في الجغرافية السياسية-
أ.د. خليل إسماعيل محمد 159
الدين في مواجهة الإبادة الجماعية
أ.د خميس غربي حسين 173
الإبادة الجماعية والشر التافه دراسة في الممارسات الشمولية وعمليات الارهاب المنظمة
أ. د. علي عبّود المحمّداويّ 187
جينوسايد الكورد الفيليين في ضوء قوانين الجنسية العراقية
د. حسن كاكي 195
الكورد الفيليون والمواطنة من التمييز المذهبي والقومي إلى الإبادة الجماعية
قراءة في نظريات الصراع
د. علي محمد علي الطنازفتي 217
الطبيعة القانونية للجرائم في منطقة فيليان
د. بيان محمد شابازي 237

الجهود الدولية والوطنية في مكافحة جريمة الإبادة الجماعية
(دراسة مقارنة في ضوء القانونين الليبي والعراقي)
د. امهيدي محمد امهيدي الشيباني - د. علي منصور اشتيوي 257
الإبادة الجماعية للكورد الفيليين في العراق: رؤى ومقاربات فكرية إقليمية ودولية لمعالجة أوضاعهم بعد2003
أ.د. جاسم يونس الحريري..... 269
اتجاهات نخبة الكورد الفيليين إزاء التغطية التلفزيونية لقضية التهجير القسري
د. مجاشع محمد علي 287
البعد السياسي للإبادة الجماعية للكورد الفيليين
د. مهدي أمين عبدالله الستوني 311
التعصب القومي والمذهبي واستخدامهما لإبادة الفيليين من منظور الإسلام
م.م.سەربەست نادر عبدول .....%..... 337
إبادة الكورد الفيليين في الشعر العربي
أ.م.د. جوان عبد القادر عبد الله 361
الإبادة الجماعية الثقافية كوسيلة لطمس هوية الشعوب (حالة الكورد الفيليين انموذجا)
خيري بوزاني 391
الأبعاد النفسية والاجتماعية لتهجير وتسفير الكورد الفيليين في العراق
أ.م.د. ضياء عبدالخالق حسين المندلاوي 411
الكورد الفيليون من الإبادة الجماعية إلى العُنف الأعمى مقاربة قانونية ودينيّة
الساسي بن محمّد ضيفاوي 429
تجريم الإبادة الجماعية أمام القضاء الجنائي الدولي
زعادي اللقب: محمد جلول 443
حكم الإبادة الجماعية من منظور الفقه الإسلامي الفيليون أنموذجا
سعيد ملا عبدالله ملا سعيد 459
التوصيات 475

..

الدين في مواجهة الإبادة الجماعية

أ.د خميس غربي حسين
جامعة تكريت/كلية الآداب
gbomkamis@yahoo.com

الملخص

لقد انقلبت الأديان عند الكثير من معتنقيها إلى عنصر سلبي ومورد الشرعية لكثير من قوى الهيمنة المادية والمعنوية، وهي محرك احترابات شتى مثلما حدث للكورد من عمليات قتل وتهجير ممن يدعون أنهم مسلمون، بل أنه وظفت في بعض الأحيان لأغراض الإبادة الجماعية؛ وكأن الأديان ظلت أحجية أبدية وواقعاً حتمياً في الآن نفسه، لأنها تزداد انغماساً في حياة البشر وتتعاظم حظوتها في الضمير والوجدان رغم فتوحات العلم المتعاقبة ومنجزات التقانة المذهلة وارباكات الحداثة الملحوظة، وموجات العولمة المتلاحقة.

ترتبط العديد من المواقف ولا سيما في قضية الإبادة بالنصوص الدينية، إذ وظفت هذه النصوص عند البعض لتبرير الأعمال العدوانية! لا سيما عندما يتم تسخير هذه النصوص لخدمة طائفة، أو من أجل مصلحة الحاكم، وهذا ما حدث من أعمال إبادة للكورد، ولأن تلك نصوص اختلف في تفسيرها البعض، واتفق البعض الآخر، كلاً على حسب مصلحته، لكن الجدلية، جدلية فك تلك النصوص تبقى قائمة على مر العصور وتحتاج إلى مراجعات فكرية وتاريخية.

الكلمات الدالة: دين، مواجهة، إبادة، منع، جماعية.

Abstract

Keywords: religion، confrontation، genocide، prevent، collectivism

Religion in Confronting Genocide

Prof.Dr. KhameesGharbee Hussein
College of Arts Tikrit Universtiy
gbomkamis@yahoo.com

For many of its adherents، religions have turned into a negative element and the source of legitimacy for many of the forces of material and moral domination، and the engine of various conflicts، as happened to the Kurds in terms of killing and displacement، but rath-

er it was employed for the purposes of genocide، as if religions remained an eternal puzzle and an inevitable reality at the same time، increasingly immersed in Human life and its growing fortune in conscience and conscience despite the successive conquests of science and the amazing achievements of technology، the remarkable confusions of modernity، and the successive waves of globalization.

Many positions، especially in the issue of genocide، are linked to religious texts، as these texts were used by some to justify acts of aggression! Especially when these texts are harnessed to serve a sect، or for the interest of the ruler، and this is what happened in terms of acts of extermination of the Kurds، and because these texts differed on their interpretation، and others agreed، each in his interest، but the controversy، the controversy of deciphering these texts remains based on Over the ages and need intellectual and historical revisions

Then، through this research، we seek to explore possible horizons for employing the texts of the Islamic religion in its humanitarian aspects to prevent genocide against the Kurds in a manner of harmonization between the text and life with its various hori zons and different mechanisms.l

الدين في مواجهة الإبادة الجماعية

المقدمة

كان للبعد الديني وطقوسه مكانة عظيمة عند الإنسان منذ القدم واستمر اثر الدين وبفاعلية ظاهرة إلى الحاضر، ولا شك أن المعتقد الديني _أي كان تصنيفه_ قد انعكس على مجرى حياة الشعوب وبأدق التفاصيل المرتبطة بنشاطهم السياسي، والاجتماعي، والاقتصادي، والثقافي؛ ولأن ظهور الاديان ولا سيما السماوية منها كان منعطفاً أساسياً في بنية الفكر الإنساني.

الكورد من الشعوب التي سكنت في المنطقة التي يطلق عليها الهلال الكوردي، شمال العراق وايران، وجنوب تركيا وشمال سوريا، فضلاً عن وجودهم في دول أخرى، وهذا الشعب الأصيل في سكنه لهذه الأقاليم، بل أنه سبق الكثير من سكان هذه المناطق باستقراره، لكن ما يؤسف عليه أنه تعرض لأنواع القتل والتهجير والتنكيل والإبادة الجماعية.

إن كاتب هذه السطور وهو يعي ضخامة المهمة الملقاة على الباحث والمفكر والمثقف والأكاديمي والفقيه والسياسي في تجسيد مطالب الحاضر السياسية والاجتماعية والاقتصادية والدينية التي بمجملها سوف تقف سدا مانعاً أمام العدوان والإبادة، وفقاً لذلك فهو يدرك أن الحلول يجب أن تكون سريعة وتتوافق مع أهمية الموضوع وحساسيته، وذلك بوضع النقاط على الحروف.

إنَّ بوسعنا أن نفهم سعادة الإنسان أو محنته في هذا العالم أنها قضية (ملحقة) بالأفكار المتجددة في عالم الفلسفة، وهي في الأحوال كافة ظاهرة قابلة للتسويغ المفلسف على يد الإنسان نفسه؛ وأن أخطر تسويغ

فلسفي هو تسويغ اضطهاد الإنسان، أو استعباده خدمة للمصالح الذاتية بأبعادها السياسية - الاجتماعية، وباسم الدين أحياناً.

والتساؤل هنا، ما علاقة الدين بالإبادة؟ وهنا نقصد الدين بمفهومه الشامل، لا شك أن الإسلام يُكَوِّنْ المجال الأوسع في هذا المقال، وإن يكاد هذا القول من مخرجات العصر الحديث، ونتيجة من نتائج الظلم بأشكاله المختلفة وعليه جاءت دراستنا هذه لسببين رئيسين: الأول أن ما تعرض له الكورد من عمليات قتل وتنكيل وإبادة تقوم بها حكومات تدعي أنها على شريعة الإسلام، وهذا ما حصل لإخواننا الكورد وفي أزمنة متلاحقة وأماكن مختلفة، فضلاً عما تعرض له الكورد الفيلية من جرائم قتل وتهجير وإبادة، كذلك، والأمر الثاني أن الروح الإنسانية والمبادئ الأخلاقية التي جاء بها الإسلام يمكن أن تكون خيرطة طريق للمسلمين من أجل بناء الحياة الإنسانية القائمة على الأخوة والمحبة والتواصل وصولاً إلى التعايش السلمي ورفض كل أشكال الإبادة.

أهمية البحث

الأديان جاءت برسالة في كل عناوينها الخير والأمن والاستقرار، والإسلام خاتم الديانات السماوية يرفض العدوان والإبادة الجماعية؛ ولذلك سوف نسعى من خلال هذا البحث لاستشراف نصوص الدين الإسلامي في جوانبها الإنسانية لمنع الإبادة الجماعية ضد الكورد في نسق من المواءمة بين النص والحياة بآفاقها المتنوعة وآلياتها المختلفة.

إشكالية البحث

تأتي إشكالية هذا البحث من محاولة التأكيد على أثر الدين في منع الإبادة الجماعية؛ لأن الحاكم استطاع أن يوظف الفتوى المشتقة من النص الديني لصالحه، وذلك بتأسيس منظومة أخلاقية تجرم الخروج عليه، وتلزم الشعب بطاعته؛ وهنا استطاعت الفتوى أن تنتج بديهة أن الحاكم، يعرف كل شيء ويعلم ما لا يعلمه عامة الناس.

فرضية البحث

تدور فرضية هذا البحث على التساؤل الآتي: هل من الممكن أن يكون الدين وسيلة فعالة لمنع الإبادة الجماعية، على أعتبار أن نصوص الدين الإسلامي فيها دعوات للسلام والعيش المشترك.

أهداف البحث

إن المتتبع لحال الشعب الكوردي وما تعرض له من قتل وتشريد وتنكيل وإبادة، وفي أمكنة وعصور عدة يدعونا إلى تلمس الوسائل المناسبة لمنع تكرار هذه الأعمال، من هنا كان الهدف تبيان الاساليب الممكنة لمنع الإبادة، والدين بطبيعة الحال من الوسائل المهمة التي يمكن توظيفها هذا الغرض.

هيكلية البحث

لقد اقتضت طبيعة الدراسة والغايات التي نتوخاها منها، والمنهج الذي التزمنا به تقسيمها على مقدمة وأربعة مباحث، ثم انتهت إلى خاتمة، تضمنت المقدمة تمهيدا للدراسة وبيان أهميتها وسبب اختيارها، أما المبحث الأول فقد تطرقنا فيه إلى المفهوم الملتبس للدين وفيه عرجنا على استغلال النصوص لخدمة الحاكم الذي يبرر الإبادة، وجاء المبحث الثاني ليلقي الضوء على تمثل الروح الأخلاقية في الدين ضد الإبادة، وخصص المبحث الثالث للحديث عن الجانب الايجابي في الاختلاف كوسيلة لرفض التطرف والإبادة، وتضمن المبحث الرابع منهج الاعتدال والتسامح في الدين بوصفه مدخلا لمنع الإبادة الجماعية، وكانت الخاتمة إيجازا لأهم النتائج والاستنتاجات التي توصلنا إليها.

المبحث الأول: الدين، المفهوم الملتبس.

من المعلوم أن بناء المفاهيم وتحليلها يشكلان أهمية في أي دراسة اكاديمية؛ لأن البناء المفاهيمي يوصل إلى المعرفة الواقعية؛ فالمفهوم يُبنى بناءً تراتبياً، وله طرقه وأساليبه وأسسه التي يقوم عليها، وهو في كل الأحوال ليس انتقاءً عشوائياً فوضوياً.

وتأسيساً على ماسبق؛ فإن الحقائق المسلم بها أن الدين هو الظاهرة الوحيدة التي تلعب فعلها في تكوين شخصية شعب أو أمة ما؛ لذلك فهي جديرة بالدراسة والاهتمام بين جميع مظاهر الحياة؛ لأنه التراث الروحي للشعوب؛ ولأنه الحقيقة الخالدة على مر الزمان (صبحي، 1994م، ص3).

وفي النص الديني الإسلامي الدعوة صريحة للتعايش السلمي؛ لأنها السبيل لمنع العدوان الذي يؤدي إلى الإبادة، ولكن ما يؤسف عليه أن اتباع هذا الدين لم يأخذوا بتعاليمه السمحاء الداعية إلى الأخوة والتعاون على البر والتقوى؛ ولذلك نجد أن الكثير من اتباعه حاولوا وبشتى الطرق تكييف النصوص، ومن ثم تفسيرها وفق المصالح التي تؤدي في أحيان كثيرة إلى القتل والإبادة، والقرآن الكريم يوصي المسلمين بضرورة احترام إنسانية الإنسان، أي إنسان وإن كان دينه غير الإسلام(لَا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ) (سورة الممتحنة، آية: 8).

إن المتأمل لأوضاع العالم الإسلامي يدرك أن السلطة استطاعت أن توظف الدين، ولم يستطع الدين أن يوظف السلطة، الأمر الذي انعكس بتبعية الدين للسلطة(الغذامي،2001م، ص100).

ولذلك فإن فهم النص ذو أهمية في الدين والتدين؛ ولذلك لا يمكن أن نفهم هذه الأبجدية إلا من خلال الإدراك النظري لكلا المفهومين (الرفاعي، 2015، ص15)، وفق ذلك يتضح لنا أن المعرفة: هي مجموعة التصورات التي يبنيها الإنسان حول العالم المحيط به، بينما الدين هو البعد الأنطولوجي الذي يتمثل في الإيمان، الحياة الروحية، الجوانب الأخلاقية (الرفاعي، 2015، ص15)، والتي هي جوهر الدين بإعتقادنا.

ولذلك فإن النشاط الذي يتصدى له رجال الدين يقوم على أساس النصوص الدينية (قامينيا، 2011م، ص233)، ومن خلال هذا التحديد ينشأ التفاوت بين الدين والمعرفة الدينية؛ لأن هذه الأخيرة تمثل تجديداً للنصوص عبر تجديد القرأة والتأويل (قامينيا، 2011م، ص233).

وبعد، يمكن تحليل المعرفة الدينية من ناحيتين: كتجربة للمقدس يمتلكها الفرد، وثانياً كمركب من

التعريفات والصياغات المتأصلة من طرف أنبياء، وفقهاء، وكهنة، وعرافين (إنزوباتشي، 2011م، ص115). ومن هنا فإن أساس المعرفة الدينية، إنما هي تجربة مبنية على التكامل المعرفي بين الروح والفكر والمادة (إقبال، 2000م، ص37).

في هذا المدخل يبدو الرهان على الفكر وكيف يتم تشكليه، إذ إن معتنقي الديانات دائما ما يفسروا نصوصها وفق قياساتهم معتقدين أنهم يمتلكون ناصية الحقيقة وحدهم، يحتكروها، ويكفرون الرأي الآخر، مما يؤدي هذا كله إلى العدوانية والإبادة، ولأن الإنسان، إلا ما رحم ربي مخلوق أناني يبحث عن مصالحه وتحقيق رغباته ولو تطلب الأمر لي أعناق النصوص الدينية وترتيبها حسب أهوائه ورغباته غير مبالٍ للنتائج، وليس أدلُ على ذلك الحركات الدينية المتطرفة في العالم الإسلامي من القاعد أو جبهة النصرة وصولاً إلى مجرمي داعش.

وهنا يجب وعي اللحظة التاريخية بأبعادها من أجل محاكاتها بالتأكيد على الفكر الحر المتسق، وهي الشروط الأساسية لمحاكاة الواقع، لقد كتب الكثير عن هذا الفكر - أقصد الفكر المتطرف-، وكتب الكثير عن منتجاته، ونموه، وتطوره، ولكن دون أي تحليل تفكيكي أو نقد ايبستمولوجي لمبادئه، وآلياته، ومقولاته، وموضوعاته، واللامفكر فيه (أركون،1998م، ص65 - 66).

والمفهوم الملتبس للدين على حسب رأينا سببه أن من يتناول النص من فقهاء وعلماء ومفكرين ومشرعين، يقرؤونه بشيء من التسطيح والرجعية، وعدم الاكتراث أو السلفية، وهناك من يكتب بحساسية مفرطة، في حين ينطلق آخرون من أفكار وتصورات مسبقة! مع الأخذ بالاعتبار أن الدولة في العالم الإسلامي ظاهرة دنيوية قبل أن تكون دينية، إنما استعانت برجال الدين لتأصيل مشروعيتها (أركون، 1990م، ص45)، وهذا بمجمله يضر بالدين والتدين أكثر ما ينفعه؛ لأن الماضي لا يسعف أناساً يحاولون أن يكونوا جديرين بالزمن الصعب الذي وجدوا فيه (حسين، 2011م، ص12)، مع الأخذ بالاعتبار أن الماضي لا يمكن التخلص منه، ونحن لا نبغي التخلي عنه، لكن علينا أن لا نبقى أسرى هوية ماضوية، وتركة ثقيلة، وتوهمات متحفية.

ويصعب الأمر إذا كانت الأمة في أزمة، أو تداهمها المشاكل من كل جهة، كما هو حال الأمة الإسلامية، مما يتطلب من مفكريها تحمل أعباء المسؤولية تجاه الفكرة من أجل بلورتها وصياغتها بأسلوب يوافق متطلبات العصر؛ لأنه يتوجب العمل على إيصالها إلى الناس، ولا يمكنه ذلك إلا إذا خاطب الجمع بأسلوب يفهمه أكبر عدد من الجمهور (عدناني،2017م، ص5).

المبحث الثاني: تمثل الروح الأخلاقية في الدين ضد الإبادة .

ليس من باب التشاؤم القول: إن المجتمعات الإسلامية تواجه من المشكلات والأزمات والتحديات الفكرية مقدار ما تعانيه من التحديات المادية؛ وللأسف الشديد في مرات كثيرة يتم اسقاط هذه الأزمات بصور شتى من العدوانية والإبادة، ويتصدر هذه التحديات الحركات الدينية المتطرفة التي لا تؤمن بالقيم الإنسانية في الدين وترى في المواجهة والعنف منهجاً وحيداً للتعامل، فضلاً عن ذلك فإن ما تواجهه هذه المجتمعات من تيه فكري متمثل في فتنة مفهومية كبرى لا يعرف السبيل للخروج منها، ألا وهي ثقافة الإزاحه، إذ تتوارد مفاهيم سلبية على ذهنية أبناء هذا المجتمعات لا سيما من يدعون أنهم مفكرون، سواء كانوا رجال دين، أو منظرين أكاديميين، أو سياسيين يمسكون زمام القيادة، وهم ما لم يهتدوا إلى إبداع مفاهيم جديدة تناسب العصر في أسلوب التعامل، أو إعادة قراءة المفاهيم المطروحة، فلا مطمع في الخروج من هذا التيه، الذي هو

ليس من جوهر الإسلام ولا من مبادئه الحقيقية.

إن مجمل المسوغات التي قام عليها الدين، والغايات التي لأجلها دخل في صراعات مع قوى الطغيان، هي تحقيق إنسانية الإنسان، ورفض استعباده واستنزاف قواه، وهذا ما جاء به الدين الإسلامي وقرره، بل يؤكده أيما تأكيد من خلال منظومة من القيم والمبادئ.

لقد جاء الإسلام لأجل انعتاق الإنسان من ربقة العبودية واستحالته إلى قوة فاعلة في بناء مجتمع متماسك يجعل الإنسان فيه حراً من أي قيد، والغاية من ذلك هي الحفاظ على حياته، وتحقيق سعادته وأمنه وسلامته، وهذه برأينا من أَجَلِّ الأشياء التي عضدها الإسلام.

وبما أننا نحن البشر إخوة نشترك جميعاً في الكثير، ونختلف أيضاً في الكثير ﴿وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ وَأَلْوَانِكُمْ إِنَّ فِي ذَٰلِكَ لَآيَاتٍ لِّلْعَالِمِينَ﴾ (سورة الروم، آية: 22)، من هنا، فنحن جميعاً نحتاج إلى أن نكون قادرين على العثور على أرضية مشتركة، وهذه الأرضية تمنع العدوان والإبادة؛ والأهم من ذلك يتوجب تنمية المشترك بيننا والتأكيد على ما يجمعنا، وأن تُعَمَّقْ في الوقت نفسه الأخوة الإنسانية التي تربطنا والاحترام المتبادل الذي يجب أن نكنه بعضنا لبعض (فورد، 2009م، ص397). وعلى هذا المنحى تُبْنى الحياة ويسود السلام وينهي العدوان والإبادة الجماعية

وهنا نتسأل، أين المشكلة؟ هل في التنظير الإسلامي؟ أم في الخطاب الذي يتبناه عدد من المتطرفين؟ أم في الفهم الخاطئ المتكون لدى بعض المسلمين! وفقاً لهذا التساؤل، نقول: ما أسباب الفهم الخاطئ؟ هل هو في الفكر أو في المفهوم الضيق للذين يفسرون عدداً من آيات القران الكريم؟، ربما وفق منظورهم الضيق، أو في محاولة لتحقيق مصالحهم الذاتية، وهؤلاء سواء أكانوا حكاماً أو رجال دين أو من عامة الناس، فهم جميعاً شركاء في الأزمة والمشكلة. هذا الفهم الخاطئ أفضى إلى القتل والتهجير، والدمار، والفوضى، وهذه وقود الإبادة الجماعية، والأمر ناتج حسب اعتقادنا بسبب القراءة الحرفية السطحية التي تنأى عن التفسير والتأويل والنقد المنهجي، فلا وجه للنص عند المتطرفين إلا ما ظهر منه، وما بدا من ألفاظه، أو ربما تكون هذه القراءة إقصائية وهي منهج يحيل إلى عقل لا يقبل الآخر المغاير بصرف النظر عن لسانه وهُويته. وهي قراءة تدل على نوع من النرجسية والأعتقاد أو الوهم بامتلاك الحقيقة المطلقة، وهي تجنح إلى الأخذ بالمبدأ القائل أن الغاية تبرر الوسيلة، وهذا المنهج مرفوض في الإسلام.

وفقا لهذه المسارد الفكرية، لا بد من الإشارة إلى أهمية الوعي الديني بمعناه الإنساني والإخلاقي؛ لأنّ في هاتين الصفتين تجنب الكراهية المفضية إلى القتل والإبادة الجماعية، وفيهما كذلك، تنوّعاً وثراءً وانفتاحاً على الخير وإغناءً للزاد المعرفي لدى الأفراد والجماعات.

وهنا نؤكد أمراً غاية في الأهمية يحكم العلاقات الإنسانية وهو دعوة الإسلام للأخوة الإنسانية والتعايش السلمي، وإننا متى آمنا بحق الاختلاف بين الأفراد والجماعات، استطعنا أن نفهم الآخر بعمقٍ ونستوعب قيمه ومبادئه، والنتيجة، يمكن أن تعيش البشرية في أمنٍ وسلام واحترام متبادلٍ، والنتيجة وقفٌ كل أنواع العدوان والإبادة لأن الإيمان بإنسانية الإنسان ينشأ عنه، ضرورةً، الإيمان بقدسية دمه وحرمته.

إذن ما أسباب الإبادة؟ وردود الفعل والتطرف عند بعض من يدعون أنهم مسلمون. بعيداً عن إسقاط مفاهيم ومصطلحات المنظومة الثقافية لدى المتطرفين نقول: إن ردة الفعل لا تنحصر أهميته التاريخية في ما قد يخرج من جوفه من أصوات ودعوات ومواقف، بل بما ينتج عنه من أعمال إجرامية، وهذا ما يحدث في

الوقت الحاضر على يد (عصابات داعش)، من ترهيب وتشريد وقتل للمسحيين والأيزيديين وغيرهم، هؤلاء الذين عاشوا على مر التاريخ في ظل الحكم الإسلامي آمنين مطمئنين.

وفق هذا المعطى، كانت ردة الفعل الغاضبة والانتقامية لدى هذه المجاميع لها أسبابها _ وإن كنا لا نوافق بالمطلق على الأسلوب الهمجي المتبع من قبل هذه المجاميع_ فإن الأزمة النفسية التي يعاني منها المواطن في البلدان الإسلامية مزرية، وتحتاج إلى حلول عاجلة، وهي تتمثل بالجهل والفقر والبطالة، وتسلط الحكام واستئثارهم بالثروات، وحرمان الفئات الأخرى من حق التعبير والمشاركة، وهذا كله يؤدي إلى تخلخل القيم الإنسانية مما يؤدي لشيوع روح العدوانية التي من نتائجها الإبادة الجماعية، يضاف إلى ذلك الفهم القاصر لروح الإسلام، والتفسير الخاطئ المتطرف للنص الديني أو القراءة الإقصائية وهي منهج يحيل على عقل تكفيري لا يقبل المغاير، وهي قراءة –حسب اعتقادنا- تدل على نوع من الكبرياء والاستعلاء وامتلاك الحقيقة المطلقة وعدم الاعتراف بالآخر، هذا كله أفضى إلى تكون أرضية خصبة لنشوء الفكر المتطرف الإجرامي الانتقامي، والذي انعكس في بعض جوانبه نحو الآخر.

والسؤال هو: كيف نخرج من الأزمة؟ لا يمكن الإجابة على هذا التساؤل إلا بعد الإقرار بوجود الأزمة، وهي تتمثل بعدد من المظاهر ذات دلالات دينية فقهية تشريعية وأخلاقية، فضلاً عن تخلف مادي بمظاهره المختلفة، اقتصاد، علوم، تكنولوجيا، سياسة، إدارة، هيئات اجتماعية، مؤسسات (كوثراني، 2011م، ص27). ومتى أصبح الإقرار واضحاً وصريحاً عند ذلك تبدأ أولى الخطوات من أجل التصحيح، وإعادة البناء بالطريقة العلمية.

المبحث الثالث: الجانب الايجابي في الاختلاف وسيلة لرفض التطرف والإبادة.

إن من طبيعة الناس أن يختلفوا؛ لأن الاختلاف أصل من أصول خلقهم، وأن الحياة التي نعيشها قائمة على التناقض والأضداد في أحيان كثيرة، وهذا الذي أودعه الله تعالى في الإنسان، كان وراءه حكمة بالغة، من بعد أن جعل هذا الكائن أكرم مخلوقاته وخليفته في الأرض.

وهذا الاختلاف هو للتعارف والتعاون، من أجل التعايش السلمي القائم على المحبة والمودة والتسامح، بعيداً عن العدوان والإبادة، وفي الإشارة إلى الاختلاف﴿ وَلَوْ شَاءَ رَبُّكَ لَجَعَلَ النَّاسَ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَا يَزَالُونَ مُخْتَلِفِينَ﴾ ﴿ إِلَّا مَن رَّحِمَ رَبُّكَ وَلِذَٰلِكَ خَلَقَهُمْ وَتَمَّتْ كَلِمَةُ رَبِّكَ لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾ (سورة هود، الآية: 118 - 119). والرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) لا ينطق عن الهوى، بيَّن في حديثٍ عن الذين يؤمنون بالله، وتعاونهم والتواصل فيما بينهم، واصفا إياهم بأنهم كالجسد الواحد((مثل المؤمنين في توادهم وتراحمهم كمثل الجسد إذا اشتكى منه عضوٌ تداعى له سائر الجسد بالسهر والحمى))(البخاري، 1998م، ص6556، رقم الحديث 6011).

ومن نافلة القول من طبيعة الناس التباين في الآراء؛ لأن الاختلاف أصل من أصول خلقهم وهذا الاختلاف فيه حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض (حمودي، 2000م، ص16)؛ لأن الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة، واستعدادات شتى للقيام بالأعمال الكثيرة، والإسلام ينظر إلى هذا الاختلاف على أنه حافز للتنافس بين المختلفين في عمل الخير والصلاح.

وبعد، لقد خلق الله تعالى الناس مختلفين في صورهم وألوانهم وحتى في تصوراتهم وأفكارهم عن الحياة

وأصبح لكل إنسان بصمة لا يتشابه فيها اثنان من الخلق، وفي ذلك حكمة بالغة، والإسلام ينظر إلى هذا الاختلاف بروح إيجابية، لأنه سبب وحافز للعمل والتنافس بين المختلفين من أجل إعمار الأرض وعمل الخير لصالح البشرية جمعاء.

وإذا كان الأمر كذلك فإن الاختلاف سمة إيجابية في حياة البشرية حتى يتعاونوا فيما بينهم على عمل الخير، ((وهذا الاختلاف يحقق حكمة عليا من استخلاف هذا الكائن في الأرض، إن هذه الخلافة تحتاج إلى وظائف متنوعة، واستعدادات شتى من ألوان متعددة، كي تتكامل جميعاً وتتناسق، وتؤدي دورها الكلي في الخلافة والعمارة، وفق التصميم الكلي المقدر في علم الله))(قطب، 1967م، ج1، ص215).

ولإن الإسلام لم يعد خلق الإنسان عبثاً، إنما خلقه لأداء رسالة في الحياة، وهذه الرسالة تتطلب التعاون والأخوة بعيد عن القتل والتشريد والإبادة، ولأن الله (جل شأنه) خلق الإنسان من أجل إعمار الأرض وخلافتها، يظهر ذلك من سياق الآية القرآنية ﴿ وَإِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّي جَاعِلٌ فِي الْأَرْضِ خَلِيفَةً قَالُوا أَتَجْعَلُ فِيهَا مَن يُفْسِدُ فِيهَا وَيَسْفِكُ الدِّمَاءَ وَنَحْنُ نُسَبِّحُ بِحَمْدِكَ وَنُقَدِّسُ لَكَ قَالَ إِنِّي أَعْلَمُ مَا لَا تَعْلَمُونَ﴾ (سورة البقرة، آية: 30).

ولما كان الناس أسرة واحدة على أختلاف ألوانهم وأجناسهم وأعراقهم وأديانهم؛ فإن الإسلام ينظر إلى هذا الاختلاف نظرةً إيجابيةً؛ لأنهم جميعاً يشتركون في صفات ومقومات ((هي وحدة الربوبية لرب واحد، ووحدة النسب من سلالة واحدة، ووحدة الخلقة والتصميم، ووحدة الناموس الذي يحكمهم، ثم وحدة المهام والهدف المقدر لهم)) (شلتوت،1972، ص272). وإذا فهمنا هذا الاختلاف من الممكن أن نبتعد عن العدوان والإبادة، وأن حياة الإنسان على الأرض موقوفة على التعاون، وليس على العدوان.

والحكم على الإنسان مرجعه إلى الله، فهو الذي يحكم ويقضي بين الناس بالعدل، كما أشار القرآن الكريم إلى ذلك ﴿ قُلِ اللَّهُمَّ فَاطِرَ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ عَالِمَ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ أَنتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ﴾ (سورة الزمر، آية: 46)، بل إن الإسلام يدعو إلى عدم التجريح وسب معتقدات الآخرين، حتى إن كانوا على ملة الشرك، مما يفضي إلى التعاون والأخوة الإنسانية.

لقد جاءت الديانات السماوية جميعاً بدعوة توحيد الله سبحانه وتعالى، ابتداءً من آدم (عليه السلام)، وانتهاءً بالرسول محمد (صلى الله عليه وسلم)، وجميعاً كانت دعوتهم واحدة هي: توحيد الله وعبادته وحده، يظهر ذلك في القرآن الكريم من خلال عدد من الآيات، قال جل شأنه وَإِلَىٰ مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا قَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُم مِّنْ إِلَٰهٍ غَيْرُهُ وَلَا تَنقُصُوا الْمِكْيَالَ وَالْمِيزَانَ إِنِّي أَرَاكُم بِخَيْرٍ وَإِنِّي أَخَافُ عَلَيْكُمْ عَذَابَ يَوْمٍ مُّحِيطٍ﴾، (سورة هود، آية: 84) ﴿ وَإِبْرَاهِيمَ إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَاتَّقُوهُ ذَٰلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ إِن كُنتُمْ تَعْلَمُونَ﴾

(سورة العنكبوت، آية: 16)، وهناك العديد من الآيات التي تبين عقيدة التوحيد الخالص، ووحدة الدين الذي جاء بها الرسل. فإذا فهمنا الدين على هذه الصورة تزدهر الحياة ولا سبيل للمتطرفين من تنفيذ أعمال القتل والإبادة.

ومما تقدم نستنتج أن الله سبحانه وتعالى لم ينزل إلى البشرية عن طريق رسله أدياناً عدة إنما نزَّل ديناً واحداً هو الإسلام، إنها وحدة الدين السماوي، لا تعدد الأديان(هدايات، 1983م، ص51)، والقرآن الكريم يدعو الديانات جميعاً باسم الإسلام، قُلْ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ تَعَالَوْا إِلَىٰ كَلِمَةٍ سَوَاءٍ بَيْنَنَا وَبَيْنَكُمْ أَلَّا نَعْبُدَ إِلَّا اللَّهَ

وَلَا نُشْرِكَ بِهِ شَيْئًا وَلَا يَتَّخِذَ بَعْضُنَا بَعْضًا أَرْبَابًا مِّن دُونِ اللَّهِ فَإِن تَوَلَّوْا فَقُولُوا اشْهَدُوا بِأَنَّا مُسْلِمُونَ﴾ (سورة آل عمران، آية:64). وهذا التوحيد والإذعان لله تعالى غايتها أن يعيش الناس بأمن وسلام.

ومع أن سائر الديانات غير الإسلام قد نسخت بنزول القرآن أو أن ديانات أخرى ليست على حق، إلاَّ أن الإسلام يقف منها موقف التسامح، لأن مثل هذا الاعتراف يتعارض مع إعلانه أن الدين عند الله الإسلام(هدايات، 1983م، ص65)، والإيمان بالتعددية في الإسلام يسمح للمسلمين بالالتقاء مع أتباع الديانات الأخرى في كثير من الأمور الدنيوية فيما لا يتصل بالأمور العقدية والتعبدية، فيلتقي أتباع الإسلام مع أتباع اليهودية والمسيحية حتى في العلاقات الزوجية، و يتم الالتقاء في مأدبة الطعام ومجالات التعاون والبناء(هدايات، 1983م، ص65).

لقد قرَّر الإسلام حسن العلاقة مع غير المسلم بعيداً عن التطرف والغلو لإبقاء جو السلام وحسن التعامل بين أفراد المجتمع، ونجد تقرير هذا المبدأ في آيات عدة من القرآن الكريم، منها قوله تعالى: ﴿وَلَا تَسُبُّوا الَّذِينَ يَدْعُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ فَيَسُبُّوا اللَّهَ عَدْوًا بِغَيْرِ عِلْمٍ كَذَٰلِكَ زَيَّنَّا لِكُلِّ أُمَّةٍ عَمَلَهُمْ ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّهِمْ مَرْجِعُهُمْ فَيُنَبِّئُهُم بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ﴾ (سورة الانعام، آية: 108)، وقوله: ﴿وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ لَا نَبْتَغِي الْجَاهِلِينَ﴾ (سورة القصص، آية: 55)، وقوله: لَكُم دِينُكُم وَلِيَ دِينِ (سورة الكافرون، آية: 6).

وكما هو معلوم أن المسلمين يؤمنون أن الأديان السماوية على أصلها كلها من عند الله، ويجب على أبنائها أن يتلاقوا جميعاً على كلمة سواء من عند الله، وأن أصول الإسلام الإيمان والتصديق بالأديان السماوية كلها، بل أنَّ الإسلام يدعو إلى عدم التجريح وسب معتقدات الآخرين، حتى إن كانوا على ملة الشرك، وهذا بطبيعة الحال إذ أخذ به المسلمون وغير المسلمين سيؤدي حتماً إلى منع الإبادة.

المبحث الرابع: منهج الاعتدال والتسامح في الدين مدخل لمنع الإبادة الجماعية

إن دراسة الاعتدال والتسامح في الفكر الإسلامي، ليس بحثاً نظرياً فلسفياً مجرداً، إنما هو بحث نابع عن قناعة تدعمها نصوص التشريع من الكتاب والسنة والاجتهاد، ونحن من وراء هذا لا نبغي دراسة هذا الموضوع للمعرفة الثقافية فحسب، وإنما نبغي أن تستحيل هذه المعرفة إلى قوة دافعة لتحقيق مدلولاتها في التعامل مع الآخر المختلف، لإظهار الوجه الناصع للإسلام في تعامله وسماحته، التي حاول المتطرفين تشويهها برؤيتهم القاصرة عن فهم روح الإسلام الحقيقية.

لاشك أن الاعتدال والتسامح كان شعار الدين، وقد انعكس ذلك من خلال تعامل المسلمين مع غيرهم؛ سواء كانوا يعيشون ضمن المجتمع الإسلامي أو حتى خارج هذا المجتمع كما هو حاصل في الوقت الحاضر، إذ إن تطور الاتصالات وطرق المواصلات جعل الكرة الأرضية أشبه بقرية صغيرة يلتقي فيها الناس على اختلاف أديانهم بسهولة ويسر مما فرض على المسلمين أساليب جديدة للتعامل لم تكن موجودة في المدة المبكرة من تاريخ الإسلام، ومع هذا فإننا نجد السلف الصالح وفي مقدمتهم الرسول الكريم محمد (صلى الله عليه وسلم)، القدوة والمثل الأعلى للمسلمين، عندما عقد مع سكان المدينة عهداً سمي فيما بعد (وثيقة المدينة) كان الموقعون عليها من الآخر المختلف حتى من المشركين إذ كانوا ضمن هذا العهد الذي كان أساسه التعاون بينهم وبين المسلمين، في دفع الأعداء وإقامة الحق، أو ما يسمى بالتعايش السلمي(ابو زهرة، د.ت، ص46).

ويظهر تكريم الإنسان في المنهج الإسلامي بالدعوة إلى إكرام الضيف واحترامه حتى لو لم يكن على دين الإسلام، فقد نقل أن الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) أكرم وفد نجران النصراني وقام بنفسه بالتجهيزات الضرورية لإكرام هذا الوفد، حتى إنه فرش عباءته ليجلسوا عليها (ابن كثير، د.ت، ج3، ص25). وهذا برأينا أعلى درجة المحبة والتسامح المفضية إلى التعاون ونبذ العنف والقتل والإبادة.

لقد رسم القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة الأسلوب الواضح والصحيح للتعامل بين أبناء المجتمع الإنساني، يقول تعالى: ﴿ لَّا يَنْهَاكُمُ اللَّهُ عَنِ الَّذِينَ لَمْ يُقَاتِلُوكُمْ فِي الدِّينِ وَلَمْ يُخْرِجُوكُم مِّن دِيَارِكُمْ أَن تَبَرُّوهُمْ وَتُقْسِطُوا إِلَيْهِمْ إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ﴾

(سورة الممتحنة، آية: 8)، والإسلام يحث أتباعه على التعامل بروح من المحبة والمودة والإنسانية مع غير المسلمين، وتاريخ المسلمين يشهد على التعامل بالحسنى مع غيرهم، فقد نعموا في ظل الإسلام بالرضا والأمن والسلامة، وسار السلف الصالح على هذا الطريق (شلبي،1967م، ص162).

وحتى تكون للمودة جسور مع الآخر بغية التعايش السلمي، فقد أجاز الإسلام لأتباعه أن يواكلوا غير المسلمين وأن يصاهروهم، ﴿ الْيَوْمَ أُحِلَّ لَكُمُ الطَّيِّبَاتُ وَطَعَامُ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ حِلٌّ لَّكُمْ وَطَعَامُكُمْ حِلٌّ لَّهُمْ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الْمُؤْمِنَاتِ وَالْمُحْصَنَاتُ مِنَ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ مِن قَبْلِكُمْ إِذَا آتَيْتُمُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ مُحْصِنِينَ غَيْرَ مُسَافِحِينَ وَلَا مُتَّخِذِي أَخْدَانٍ وَمَن يَكْفُرْ بِالْإِيمَانِ فَقَدْ حَبِطَ عَمَلُهُ وَهُوَ فِي الْآخِرَةِ مِنَ الْخَاسِرِينَ﴾ (سورة المائدة، آية: 5) ولا شك أن هذه التصرفات والسلوكيات والأعمال تخلق امتزاجاً بين هؤلاء وأولئك، فأخوال الأولاد سيكونون من غير المسلمين، وهذا يخلق امتزاجاً، والطعام معهم سوف يخلق ألفة ومحبة، وفي هذا رباط كبير أباحه الله بين المسلمين وغير المسلمين، مما يدل على أن الإسلام يرفض التعصب والانغلاق، وأنه دين الإنسانية السمحاء، يبغي الخير لجميع الناس، ويدعو إلى التواصل ومدِّ أواصر المحبة.

ومن الصور الإنسانية العظيمة في الإسلام، أنه قد يدخل الابن الإسلام ويبقى الأب على ملته، وهنا يدعو الإسلام الابن أن يظل طيب الصحبة مع أبيه. مع اختلاف الدين (شلبي، 1967م، ص163)، ﴿ وَإِن جَاهَدَاكَ عَلَىٰ أَن تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ فَلَا تُطِعْهُمَا وَصَاحِبْهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا وَاتَّبِعْ سَبِيلَ مَنْ أَنَابَ إِلَيَّ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ تَعْمَلُونَ﴾(سورة لقمان، آية: 15).

ومن الدلائل على الدعوة للتعاون والتسامح ونبذ الكراهية، أن القران الكريم يوجه أتباعه بضرورة التعامل بحسن الكلام وأدب الحوار، ﴿ وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ وَقُولُوا آمَنَّا بِالَّذِي أُنزِلَ إِلَيْنَا وَأُنزِلَ إِلَيْكُمْ وَإِلَٰهُنَا وَإِلَٰهُكُمْ وَاحِدٌ وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾ (سورة العنكبوت، آية: 46).

ومن تسامح الإسلام مع أهل الكتاب أنه أباح لهم قسماً من الطعام و الشراب المحرم على المسلمين، فليس هناك من حرج على أهل الكتاب أن يشربوا الخمر أو يأكلوا لحم الخنزير (شلبي، 1967م، ص163)، على الرغم من وجود الآثار السلبية على المجتمع الإسلامي، ولكن هنا تظهر أهمية التسامح الذي يفضي إلى التعايش السلمي في المجتمع.

أما الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) فقد ضرب لنا مثلاً رفيعاً في تعامله مع أهل الكتاب، فقد رويَ أنه كان يحضر ولائمهم، ويشيع جنائزهم ويعود مرضاهم، ويزورهم ويكرمهم، وذُكر أنه كان يقترض من أهل الكتاب نقوداً ويرهن عندهم أمتعته، حتى انه توفي ودرعه مرهونةٌ عند بعض يهود المدينة في دين عليه،

وكان يفعل ذلك لا لعجز من أصحابه عن إقراضه، فقد كان منهم الموسرون، وكان منهم كثيرون يحبون أن يضحوا أمام الرسول بأنفسهم وأموالهم في مرضاة نبيهم، بل كان يفعل ذلك تعليماً للمسلمين وإرشاداً لهم (طبارة، 1983م، ص199).

وكان السلف الصالح من أئمة المسلمين يتعاملون مع أهل الذمة ويستعينون بهم على قضاء أعمالهم، وقد نقل عن الإمام علي بن أبي طالب (عليه السلام) أنه استعان برجل من اليهود رسولاً للتفاوض مع الخوارج قبل معركة النهروان بقوله: ((رجلاً من يهود السواد)) (المسعودي، 1965م، ج3، ص165)، وهذا بلا أدنى شك يؤكد روح التواصل والتآلف بين المسلمين والآخر المختلف، مما يؤشر منهج التعايش السلمي عند الرعيل الأول من المسلمين.

والإسلام دين يدعو إلى التآخي والتعاون والتكافل ويرفض القتل والإبادة وينادي بالاستقرار والتعايش في أمن وسلام، ليس بين المسلمين فقط، بل مع الناس أجمعين، على اختلاف أديانهم ومعتقداتهم(العزب، د ـ ت، ص4)، وأن الحضارة الإسلامية في صورها المتعددة وجوانبها الكثيرة اللامعة، من تشريع، وعلم، وأدب، وفن، وثقافة، تقوم على تدعيم السلام والطمأنينة في العالم(هدايات، 1983م، 25).

وإذ يؤلف الإسلام بين القلوب والعقول، ويدعو الناس جميعاً إلى التواصل والتعاون، والمودة والتسامح والإخاء، وهو الذي يوجه الجميع في صلواتهم وعباداتهم إلى جلال الخالق الحق (الدفتردار، 1950م، ص أ- ب من المقدمة)، ولا ريب أن من ينظر إلى الأديان السماوية من نافذة الوحي يتسع عقله لتقبل الآخر، والتواصل والتآلف معه (الدفتردار، 1950م، ص ب من المقدمة).

والقرآن الكريم عندما يخاطب البشرية يقول ياأيها الناس ولم يكن النداء ياأيها المسلمون فقط، وليس أدل على هذا، إكثار القرآن الكريم من ترديد كلمة الإنسان، وبني آدم، والعالمين، والأنس، والعباد، وهي لا تخص المسلمين وحدهم بل الإنسانية جمعاء ((معروف، 1975م، ص181) .

ومما يجب التأكيد عليه أن هذه النظرة لحقيقة الإسلام تولد شعوراً تتبعه قناعة أن الإسلام هو دين الإنسانية، وهو دين الألفة والتواصل والمحبة مع جميع البشر، وعلى هذا فإن الإسلام يهذب طباع أتباعه، ويقوم أخلاقهم، من أجل أن تسمو نفوسهم، فيحس الفرد المسلم قيمته في هذه الحياة، فيقبل عليها بطاعة الله بالعمل الصالح وحب الخير لجميع البشرية، والمحبة والتسامح مع الجميع.

ومن أحاديث الرسول محمد (صلى الله عليه وسلم) التي تفيض حناناً ورحمة وحباً للجميع جميع البشر، أينما كانوا وأينما وجدوا، وتتجلى فيها النزعة الإنسانية التي دعا إليها الإسلام بأعلى وأرقى صورها ((الخلق كلهم عيال الله، فأحبهم إليه أنفعهم لعياله)) (الطبراني، 1983م، ج1، ص18، رقم الحديث 3590، ضعفه الألباني) لا شك أن الدعوة إلى اكرام الإنسان وحفظ حياته تمنع الإبادة، وهذه لم تكن وليدة اقتباسات أخذها المسلمون من الفلسفات السابقة والمعاصرة في الشرق أو الغرب، مثلما يدعي عدد من المستشرقين وإنما كانت نزعة الدين الإسلامي، أثبتتها نصوص القرآن الكريم والسنة النبوية المطهرة، وأعمال السلف الصالح من الصحابة والتابعين، والخلفاء المتقين، وآراء وأطروحات أئمة المذاهب من المجتهدين (معروف، 1975م، ص181). ولرفعة مكانة الإنسان في الفكر الإسلامي، فهو أرفع وأقدر من جميع الخلائق على وجه الأرض بل إن جميع ما موجود على سطح الأرض لخدمته، ﴿ لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنسَانَ فِي كَبَدٍ﴾ (سورة البلد، آية: 4).

ومن أجل أن تستقيم الحياة ويحفظ النوع الإنساني من الإبادة، ولا يتعرض الفرد لعقوبة إلاَّ بالحق، أو

جزاء على جريمة ارتكبها، فكانت أعظم المحرمات بعد الشرك بالله قتل الإنسان أو إبادته، حتى قرن الله سبحانه وتعالى ذلك بالشرك، وجعل جزاء من قتل نفساً عمداً الخلود في نار جهنم، وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَٰهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَن يَفْعَلْ ذَٰلِكَ يَلْقَ أَثَامًا)68(يُضَاعَفْ لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ مُهَانًا (69) (سورة الفرقان، الآية: 68 – 69).

الخاتمة

بعد أن أكملنا هذا البحث لا بد لنا من أن نضع خاتمة نلخص فيها أبرز ما توصلنا إليه من نتائج، وهي الآتي:-

أولاً: الدين في نصوصه يستوعب مشكلات الواقع الإسلامي، ويدرك مدى قوة الفكر وقدرته على إحداث التغيير، وقد تبين من خلال النصوص أنه من الممكن أن يكون الدين سلاحاً بوجه العدوان الذي يفضي إلى الإبادة الجماعية ضد الأقليات في العالم الإسلامي.

ثانياً: ومن النتائج التي توصلنا إليها أن عدد من رجال الدين بسبب من قصر نظرهم لم يفهموا رسالة الدين الإنسانية مما تولد عنه حالات انفعالية بعيدة عن الصواب، بل أنهم على جرف هاوية تسقطهم أي عاصفة أو فتنة مهما كان مقدارها، هذا النوع من المسلمين هو من يخشى عليه؛ لأنهم يغلقون الأبواب على أنفسهم من خلال تعصب ظنوه تديناً، ومن خلال تطرف حسبوه التزاماً بما أمر به الله تعالى.

ثالثاً: الدين الإسلامي في حقيقته وما يحمله من قيم الإنسانية التطرف والغلو والعدوان والإبادة الجماعية، وقد خرج عدد من الحكام المسلمين بتفسيرات خاصة عن مفهوم الدين الإسلامي، في الوقت الذي يقترن هذا الفهم بأعمال عنف تصل إلى القتل المروع والجماعي، مثلما نشاهد الآن من على شاشات التلفزيون.

رابعاً: ليس من التدين في الإسلام أن يتطرف المرء ويطلق العنان لنفسه بحيث يجعل كل المخالفين له أعداء يجب إبادتهم والقضاء عليهم؛ لأن التطرف يعطي صورة مُنَفِرَّة عن الإسلام لا تتفق مع سماحته ونظرته للتعددية الدينية في الحياة، لا بل تسيء إليه، حتى صحَّ أن نعد ظواهر التطرف التي تبرز بين حين وآخر من الإشكاليات التي تهدد الأمة، وتحول هؤلاء المتطرفين إلى أدوات بيد أعداء الإسلام، يلصقون بهذا الدين الحنيف تهمة التعصب والإرهاب ونفي الآخر، بل إبادة أقوام مثلما فعل داعش مع اليزيديين في العراق.

خامساً: خرج قسم من رجال الدين عن روح التعاليم الإسلامية الحقيقية التي تدعو إلى التسامح والسلام والمحبة، فتركوا الأصول وتشبثوا بالفروع، وهذا ناتج عن تعصب هؤلاء الذين لم يفقهوا روح الدين الإسلامي وتعاليمه، مما فتح المجال لعدد من الكُتَّاب في الغرب لوصف الإسلام بالتطرف والعنف والإرهاب والعدوان والإبادة، مع أنَّ الإسلام دين المحبة والتسامح والتواصل، يؤمن بالتعددية واحترام الآخر.

سادساً: إن الأهواء والمصالح الدنيوية هي السبب الذي دفع قسم من العلماء وفقهاء السلاطين إلى الدعوة إلى نبذ الآخر المختلف، وإلى التفرقة بين جنس وجنس، وبين دين ودين آخر، وهذا بطبيعة الحال، أدى إلى التطرف والغلو الذي هو بعيداً عن روح الدين الإسلامي ولا مخرج هنا سوى أعمال العقل وتجديد الفقه والإفتاء، وقراءة كتب الفقه والتراث برؤية انتقادية جديدة قادرة على فرز ما هو عاقل ومعقول، وما هو غير ذلك، وهنا يجب الاعتماد على كتابات باحثين، مثقفين ثقافة إسلامية واعية متسامحة، متسمة بعمق التفكير الإيجابي الفَعَّال للحوار مع الآخر .

سابعاً: الأديان السماوية جميعاً جاءت لتضع الإنسان في موضعه الصحيح، الذي اختاره الله ليكون خليفته في الأرض، والإسلام ليس ديناً منفصلاً عن حياة الناس، والعبادات فيه مرتبطة بالعمل والتعامل الإنساني مع الناس، وغاية العبادات في الإسلام أن تؤثر في سلوك الإنسان لتجعله محباً للخير سمحاً، يحب الناس ويقبل على الجميع بدرجات عليا من الإنسانية، التي هي روح الإسلام.

ثامناً: الإسلام يقدس الإنسان وفسح المجال للحريات والعقائد الدينية، وإن كل ما يوجه إليه من اتهامات باطلة بالتطرف الذي يولد العنف، سببها الجهل والتعصب وعقم التفكير، وهو يدعو إلى التعايش مع أصحاب الديانات الأخرى، لأنها جميعاً في أصولها حق قائمٌ على الوحي والإيمان بالله، وإن كانت هناك تخرصات عند بعض المتطرفين فهي من أنفسهم لا من الإسلام، ولا مفر امام المسلم الحق سوى أن يعمل العقل في فهم كل ما يقدم إليه، ولا سيما كتب التراث الإسلامي التي يعتمد عليها المتأسلمون في ترويج أباطيلهم.

تاسعاً: إشاعة ثقافة الحوار والتسامح وهذا يتطلب تصميم برامج في التعليم لنشر هذه الثقافة، على ان يتم تدريسها في الجامعات وإسنادها إلى اساتذة مشهود لهم بتحرر الفكر والعلمية والموضوعية، من أجل نبذ كل الثقافات التي تدعو إلى التطرف لأن أحد أسباب الإبادة هو التطرف الديني، وعلى ذلك لا يمكن مقاومة التطرف إلا بثقافة مجتمعية تعلي من شأن الحوار، وتعده فريضة اجتماعية وأخلاقية وسياسية، وهكذا ترسم الخريطة المناسبة لمقاومة كل أشكال العنف؛ لأن العنف وفرض ثقافات بالقوة تفضي إلى خلق حالات اجتماعية واقتصادية تزيد من فرص التشدد والتعصب اللذين يؤديان إجمالاً إلى الإبادة.

المصادر والمراجع

* القرآن الكريم:

أولاً: المصادر الأولية.

1- ابن كثير، عماد الدين أبو الفداء إسماعيل بن عمر، (د.ت). السيرة النبوية، القاهرة: مكتبة الدعوة.

2- البخاري، ابي عبدالله محمد بن إسماعيل، (1999م). صحيح البخاري، الرياض: دار السلام للتوزيع والنشر، ط2،

3- الطبراني، سليمان بن أحمد بن أيوب،(1983م). المعجم الكبير، تحقيق، حمدي بن عبد، الموصل: مكتبة الزهراء، ط2.

4- المسعودي، أبو الحسن علي، (1965م). مروج الذهب ومعادن الجوهر، تحقيق، شارل بلا، بيروت: مطبعة الجامعة اللبنانية.

ثانياً: المراجع الثانوية.

1-أبو زهرة، محمد، (د.ت). تنظيم الإسلام للمجتمع، القاهرة: دار الفكر العربي.

2- أركون، محمد،(1990م). الأخلاق والسياسة، ترجمة، هاشم صالح، بيروت: دار النهضة.

3- أركون، محمد، (1998م). تاريخية الفكر العربي الإسلامي، ترجمة: هاشم صالح، بيروت: مركز الإنماء القومي، ط3.

4- حمودي، صالح خليل، (2000م). إسلامية الاسرة، الموصل: مطبعة الزهراء الحديثة.

5- حسين، محسن محمد، (2011م)، الاستشراق برؤية شرقية، بغداد: دار الوراق، ط1.

6- الدفتردار، هاشم المدني ومحمد علي الزعبي، (1950م). الإسلام بين السنة والشيعة، بيروت: دار الانصاف، ط1.

7- شلتوت، محمد، (1972م). الإسلام عقيدة وشريعة، القاهرة: دار الشروق، ط6.

8- شلبي، أحمد، (1967م). مقارنة الأديان، القاهرة: مكتبة النهضة المصرية، ط3.

9- الغذامي، عبدالله، (2001م). النقد الثقافي، دراسة في الأنساق الثقافية، الدار البيضاء: المركز الثقافي العربي، ط2.

10- فورد، ديفيد، (2009م). السعي وراء الحكمة الإسلامية والمسيحية واليهودية، مسقط: مؤسسة عُمان للصحافة والنشر.

11- كوثراني، وجيه، (2011م). أفكار الأزمة، بيروت: منتدى دار المعارف، ط1.

12- معروف، ناجي، (1975م). أصالة الحضارة العربية، بيروت: دار الثقافة.

13- موسى، محمود العزب، (د.ت). التعايش الديني في الإسلام، القاهرة: مؤسسة نصار للنشر.

14- هدايات، سورحمن، (1983م). التعايش السلمي بين المسلمين وغيرهم، القاهرة: دار السلام للطباعة.